مساوىء طلب الرّزق

لديك الجنّ:

احْلُ وامْرُرْ مَعًا ، ولِنْ تارةً واخْشُنْ ... وِرِشْ واثْنِ، وانتدبْ للمعالى

وأغِثْ واستَغِثْ بربّك فى الأزْ ... لِ إذا جَلَّحَتْ صُروفُ الليالى[1]

لا تقِفْ للزّمان فى منزلِ الضّيْـ ... ـمِ ولا تَسْتكِنْ لرِقّةِ حالِ

وأهِنْ نفسَكَ الكريمة لِلْمَوْ ... ت وقَحِّم بها على الأهوال

فلعمرى لَلْموت أزْيَن لِلْحُرّ ... من الذّل ضارعًا للرجال[2]

أىّ ماء يدور فى وَجْهك الحُرّ ... إذا مَا امتهنْتَهُ بالسؤالِ

ثمّ لا سيّما إذا عصف الدّهْـ ... ـر بأهلِ النّدَى وأهل النّوالِ

غاضت المكرُماتُ وانقرضَ النّا ... سُ وبادَت سحائبُ الإفضالِ

فقليلٌ من الورى مَنْ تراهُ ... يُرْتَجى ، أو يصونُ عِرضًا بمالِ

وكذاكَ الهلالُ أوّلَ ما يَبْـ ... ـدُو نحيلًا فى دقّةِ الخلخالِ[3]

ثم يزدادُ ضوءُه فتراه ... قمَرًا فى السّماءِ غيرَ هلالِ

عادِ تدْميثَك المضاجعَ للجنـ ... ـبِ ؛ فِعالَ الخريدَةِ المِكْسالِ

وادّرِعْ يلَمَقَ اجتيابِ دُجى الليـ ... ـلِ بِطِرْفٍ مُضبَّرِ الأوصَالِ[4]

عاملىّ النّتاجِ تُطْوَى لهُ الأرْ ... ضُ إذا ما استُعِدّ للأنقالِ

جُرْشُعٍ لاحقِ الأياطل كالأعـ ... ـفَرِ ضافى السَّبيب غير مُذَالِ[5]

واتخذ ظهرَهُ من الذل حصنًا ... نِعْمَ حصنُ الكريم فى الزّلزالِ!

لا أحبُّ الفتى أراه إذا مـا ... عضَّهُ الدهرُ جاثمًا فى الضّلال

مُستكينًا لِذِى الغِنَى خاشعَ الطَّرْ ... ف ذليلَ الإدْبار والإقبال

أينَ جوْبُ البلاد شرقًا وغربًا ... واعتسافُ السُّهول والأجبالِ!

واعتراض الرِّقاق يوضع فيها ... بظباءِ النجاد والعمّالِ!

ذهبَ الناسُ فاطلبِ الرزق بالسيـ ... ـف ، وإلّا فَمُتْ شديدَ الهُزال

[الخفيف]

---

(١) ك: «أعن واستعن» والأزل: الشدة.

(٢) ك: «ازين بالحر»

(٣) ل: «عندما يبدو».

(٤) اليلمق: القباء المحشو، والطرف: الكريم من الخيل، والمضبر: المكتنز اللحم.

(٥) الجرشع: العظيم من الإبل، وطل: جمع أيطل: وهو مجتمع الأضلاع. ولاحق الأياطل: ضامرها. والسبيب من الفرس: شعر العرف، وغير مذال: أى ذيله قصير.

محاسن استصلاح المال

رُوِىَ عن عبد الله بن جعفر، قال: بعثنى علىُّ بن أبى طالب إلى حكيم بن حِزام[1]، يسأله سَلَف ثلاثين ألف درهم، فأتيتُه، فانطَلَق بى إلى منزله، فوجد فى الطريق صُوفًا فأخذه، ومرَّ بقطعة كِساء فأخذها، فلما صار إلى منزله أعطانى طرَف الصُّوف، فجعلتُ أفتِله ويُرسِل حتى فَتَلْتُه، ثم دعا بغرارة مخرَّقةٍ فرفَعها بالكساء، وخاطها بالخَيْط، وصيَّر فيها ثلاثين ألف درهم، وحمِلتْ معى.

* * *

قال: وأتى قومٌ قيسَ بن سعد بن عُبادة، يسألونه فى حِمَالة، فصادفوه فى حائط[2] له يتتبّع ما يَسقط من الثّمَر، فيعزل جيّده عن رديئه، ويجعل كلَّ صِنْفٍ منها على حِدَته. فهمّوا أن يرجِعوا عنه، وقالوا: ما نظنّ عند هذا خيرًا. ثم عَزَموا على لقائه، فأقاموا حتى فرغ من حائطه فكلّموه فأعطاهم، فقال رجل من القوم له: لقد رأيناك تصنع شيئًا لا يُشبِه فعَالَك، وأخبروه، فقال: إنّ الذى رأيتم من صنيعى قَضَيْتُ به حاجتكم.

* * *

عبد العزيز بن أبان، عن هشام الثَّقَفى، عن رجل أتى طلحة بن عبيد الله يسأله حِمالةً، فرآه يَهْنَأ بعيرًا له، فقال: يا غلام، أخْرِج له بَدْرةً فقبَضَها، ثم قال: أردت أن أنصرف حين رأيتك تَهْنَأ[3] البعير!

فقال: إنّا لا نضيّع الصغير، ولا يتعاظَمُنا الكبير.

وكان يقال: مَنْ أنفق ولم يحسب، عَطِب ولم يَشْعُر.

وقيل: الإفلاس سوءُ التدبير.

الأصمعىّ؛ قال: سمعتُ بعض المهلّبيين[4] يقول لبنيه: لا تشتروا الغنم؛ فإنها مال الرِّقة[5]، ولا تشتروا البقر؛ فإنها مال الذِّلّة، واشتروا الإبل واقتنوها؛ فإنها رَقوءُ الدّم، وصدقات الحرائر، وسُفُن البرّ، وفيها قضاء الحقوق. ولا تتزوّجوا المميتات، فإنّهنّ يضربن على رءوسكم مَنْ كان قبلكم، وتزوّجوا المطلّقات، فإنهن أضعف نفسًا، وإنّكم تَضربون على رءوسهنّ مَنْ كان قبلكم.

---

(١) ك: «ابن خويلد».

(٢) الحائط هنا: البستان.

(٣) هنأ البعير: طلاه بالهناء، وهو القطران.

(٤) ط: «الهالبيين».

(٥) فى اللسان «يقال فى حاله رقق ورقة، أى قلة».

وقال بعضهم فى جمع القليل إلى القليل:

رُبَّ كبيرٍ هاجهُ صغيرُ وفى البحور تَغرَق البحورُ

[الرجز]

وقال آخر:

قدْ يَلحق الصغيرُ بالجليل وإنّما القَرمُ من الأفِيل[1]

* وسُحُقُ النَّخل من الفسيل[2] *

(١) الأفيل: صغير الإبل، والقرم: الفحل منها.

(٢) سحق: جمع سحوق، بالفتح: وهى النخلة الطويلة، والفسيل. جمع فسيلة، وهى النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الأم فتغرس.

محَاسن الدّين

قيل: قدِم رجلٌ مع إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة، وهو على قضاء البَصْرة، فأقام أكثرَ من سنةٍ متعطِّلًا، فكثُر عليه الدَّينُ لرجل من أهل البَصْرة، فتوعَّده أن يقدمَه إلى القاضي، فأتى الرجلُ إسماعيلَ فأخبرَه بما تخوّفه من حَبْس الرّجل إيّاه، فقال: إذا قدَّمك فأقِرَّ له بحقّه، ثم قل: أبيعُ داري وأقضيه، فإنّه سيقول: لا دارَ لك؛ قل: فأبيع دابّتي وضيْعَتي، فإنّه سينكر أن يكون لك شيء.

ففعل، فجرى بينهما ما قاله القاضي، فقال القاضي: قد أقررتَ أنه لا شيء له، فكيف أحبسُه! فخلّى سبيله.

* * *

قال: وكان لرجل من التّجّار صاحب عِينَةٍ[1] على رجل من الجند مالٌ فخرج عطاء الجند ولم يقض صاحِبَه، فأرسل إليه التّاجر غلامًا يلزمه، وعلى الغلام كساء أحمر فلزمه، فجعل الرجل يتلو: ﴿وإن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرة﴾[2]. والغلام يتلو: ﴿إن الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلى أَهْلِها﴾[3]. فلما طال ذلك على الرجل، واشتد إلحَاحُ الغلام عليه، أتى صاحبَه فقال:

مُنَع الرُّقادُ فَما أُغَمِّضُ ساعةً ... من غمِّ تعذيبِ الكساء الأحمرِ
يتلو التي فيها الأمانَةُ منهما ... لؤمًا، وأتلو آيةَ المتيسِّرِ

[الكامل]

فضحك الرجل، ووَهَب له ما كان عليه من دَيْنه.

---

(١) العينة: خيال المال، وفى ك «يمنة».
(٢) سورة البقرة ٢٨٠.
(٣) سورة النساء ٥٨.

مَسَاوئ الدّين

قال أبو اليَقْظَان: كانَ الْفَضْل بنُ العباس بن عُتبة بن أبي لهب الشاعر يسلّف الناس، فإذا حلَّ مالُه ركب حمارًا[1] اسمه «شارب الرّيح» فيقف على غرمائه ويقول:

بنى عمِّنا رُدّوا الدراهِمَ إنّما ... يُفرّق بين الناس حُبُّ الدراهم

[الطويل]

* * *

وكان رجل من بني الدُّئل عَسِرَ القضاء، فإذا تعلّق به غُرماؤه فرَّ منهم، وقال:

فلو كنتُ الحديدَ لكسَّرُونِي ... ولكنّي أشَدُّ مِنَ الحديد

[الوافر]

فأقرَضهُ الفضلُ بنُ العبَّاس، فلما كان قبل المحِل[2] جاء فبنى مَعْلفًا على باب داره، وكان يقال له: «عقرب»، فلقى كلٌّ واحد منهما من صاحبه شدَّة، فهجاه، فقال:

قد تجرَتْ فى سوقِنا عقربٌ ... يا عجَبًا للعقرب التّاجرَهْ!
قد ضاقَت العقربُ واستيقَنَتْ ... ليسَ لها دُنْيا ولا آخرهْ
فإن تُعدْ ترجع بما ساءها ... وكانتِ النعلُ لها حاضرَهْ
كلُّ عَدُوٍّ يُتّقى مُقبلًا ... وتُتّقى شِرَّتُها دابرَهْ
إنّ عدُوًّا كيدُه فى استِه ... لَغَيْرُ ذى كيدٍ ولا بادِرَهْ[3]

[السريع]

* * *

قال: وقدَّم أعرابيّان غريمًا لهما إلى قاض، فحلف ثم قال:

ألم تَعلمَا أنّى طَموحٌ عنانُهُ ... وأنّى لا يقضِى علىَّ أميرُ
طمستُ الّذى فى الصّكّ مِنّى بحلْفَةٍ ... سيغفِرها الرحمن وهو غفورُ

[الطويل]

---

(١) ك: «حمارا له».

(٢) المحل، بكسر الحاء: وقت حلول الدين، وفى ك «الموعد».

(٣) الخبر والأبيات فى الأغانى ١٥: ٧ (ساسى) مع اختلاف فى الرواية.

ولآخر:

أرى الغرماء قد كَثُروا وضَجُّوا إلى السلطان غـيرَ مُقصّـرينـا
فإنْ سألـوا اليمينَ فقـدْ رَبِحْنا وإن سألوا الشهودَ فقد خَزِينا

[الوافر]

ولآخر:

الـدَّيْنُ حقًّـا كـاسمـه دَوِيُّ قد يخضعُ المـرء له القـويُّ
* كم من شريف غَاظَهُ غَبِيُّ *

[الرجز]

مَحَاسن إصلاح البدَن

قال: جَمَع الرشيدُ أربعةً من الأطبّاء: عراقيًّا، ورومِيًّا، وهنديًّا، وسواديًّا، فقال: ليصف كلُّ واحد منهم الدّواء الذى لا داء فيه.

فقال الرومىّ: الدواء الّذى لا داء فيه حَبُّ الرَّشاد الأبيض.

وقال الهندىّ: الماء الحارّ.

وقال العراقىّ: الإهليلج الأسود.

وكان السَّوادِىّ أبصرَهم، فقال له: تكلّم، فقال: حبُّ الرشاد يوَلّد الرطوبة، والماءُ الحارّ يرخِى المعدة، والإهليلج يُرِقّ المِعدة، قال: فأنت ما تقول؟ قال: الدّواء الذى لا داء فيه أن تقعد على الطَّعام وأنت تشتهيه، وتقوم عنه وأنت تشتهيه.

* * *

وقال بعضهم: سألتُ أسْقُف فارس، فقلت: إنَّا قوم نغترب وتتغيّر علينا المياه، فصف لنا ما نتعالج به، فقال: دعوا الأدوية، وعليكم بالأغذية، وما يخرج من الضَّرع والنّحل، وعليكم بأكْل اللحم، وشُرب ماء الكرم ودخول الحمّام، ولبس الكتّان.

وعن الهيثم بن عدىّ قال: قلت لتياذوق - وكان متطبّب الحجّاج: أوصنى بشىء أحفَظه عنك فإنّى مسافر، فقال: لا تنامنَّ حتى تعرض نفسَك على الخَلاء، ولا تذوقنّ طعامًا وفى معدتك طعام، واتّق ما تُخرجه النعجة والنّحلة، فإن اعتللت فأنا الضّمين، إلّا علّة الموت.

وقال سُوادة: سألت بَخْتَيْشوع: ما معنى البلغَمْ؟ فقال: تفسيرهى «بلاء وغمّ».

وقال بعض الفلاسفة: ينبغى للعاقل أن يتّقى البرد فى أوّل الشتاء وفى آخره، فقيل له: ففى وَسَطه؟ قال: ذاك يتّقيه العاقل والأحمق!

* * *

قيل: وأوصَى بعضُ الحكماء ولده فقال له: إيّاك أن تسير شبرًا من الأرض وأنت حافٍ؛ ولا تذوقنّ نبْتةً ولا تشمَّنّها حتى تعرِفَها، وإيّاك وأن تبول فى شِقِّ الأرض فتخرج منه عليك داهية، ولا تشربْ من فمِ قِرْبَة ولا إداوة حتى يكون الماء معِينًا، واحذرْ مرافقة المعرِفة، ومن لا تعرف فلا تصاحبْه، وإياك والسجود على باريَّة[1] جديدة حتى تمسَحها بكمّك، فرُبَّ شظيّة حقيرة فقأتْ عينًا

(١) البارية: الحصيرة.

خطيرة، ولا تنظرنّ فى بئر عاديّة[١]، ولا تشهدَنّ من الحيوان الكبار ما هو فى النَّزْع، واقبلْ وصيتى تَرْشُد، ولا تدَعْها فتندَم.

* * *

قيل: ودخل أعرابيٌّ ذو كِدْنةٍ[٢] على معاويةَ بن أبى سُفيان فأعجبه، فقال: يا أعرابىّ، مِمّ هذا السِّمَن؟ قال: لا آكلُ حتى أجوعَ، وأستوثق من أطْرافى فى الشتاء، وأغفِل غاشيةَ الهَجْر[٣].

وقال بعضُ الفلاسفة: اخضع للرِّيحِ خضوعَك للْمَلِك، وجاهد البلغم مجاهَدَة عدوِّك ودارِ المِرّة مداراتك صديقَك، وأنزِلْ دَمَك فى السنة مرّةً أو مرّتين، ورَوِّ مُشَاشَك من ماء لحوم الطير، وعليك بالشراب الأصفر فإنّه حليف الرُّوح.

* * *

وذكر أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبى البغل، عن أحمد بن أبى الأضبع[٤] - وكان كاتبًا لأحمد - عن يحيى بن ماسوية، قال: أكْل الفالوذ لصاحب النبيذ عندنا من شرِّ الطبّ.

* * *

وقيل: ما من أحدٍ إلّا وفيه أربعة عروق: عرقُ الجُذام، وعرْق البَرَص، وعرق العَمَى، وعرق الجنون، فإذا تحرّك عرق الجُذام، قمَعه الله بالزكام فأذهبَه، وإذا تحرّك عِرْق البَرَص سَلّط الله عليه الدماميلَ فأذهبتْه، وإذا تحرّك عرق الجنون سلّط عليه البلغم فقَطَعَه، وإذا تحرّك عرق العمى سلّط الله عليه الرَّمَد فأذهبه.

* * *

وقد رُوى عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم: «لا تكْرهوا أربعًا لأربع: لا تَكرهوا الزُّكامَ؛ فإنه يقطع عِرق الجُذام، ولا تكرهوا السُّعال؛ فإنه يقطع عِرْق الفالج، ولا تكرهوا الرَّمَد؛ فإنه يقطع عرق العَمَى، ولا تكرهوا الدماميل؛ فإنها تقطع عرق البرص».

ورُوى عن علىّ رضى الله عنه أنه قال: من ابتدأ غذاءَه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعًا من السُّوء، ومَنْ أكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم يَر فى جسده شيئا يكرهه، ومَنْ أكل سبعَ تمراتٍ عَجْوة، قتلَت كلّ دابة فى بطنه، واللّحم والثّريد طعام العرب، والسّواكُ وقراءة القرآن يذهبان بالبلغم، والبقرُ لحومُها داءٌ، وألبانها دواءٌ، وسَمْنها شفاءٌ، والسّمَكُ يذيب الجَسَد، والشحمُ يخْرج مثله من الداء، ولن يتداوى الناس بمثل السَّمْن، ولن تستشفى النفساءَ بمثل الرُّطب، والمرء يسعى بجدِّه، والسيفُ يَقطَع بحدّه، ومن أراد البقاء - ولا بقاء - فلْيباكر الغداء، وليخفِّف الرداء، وليقلّل من غشيان النّساء؛ وخفة الرّداء قلّة الدّيْن.

* * *

(١) البئر العادية: القديمة؛ منسوبة إلى عاد.
(٢) الكدنة: كثرة الشحم.
(٣) الهجر: نصف النهار.
(٤) ك: «أصبغ».

قيل: مَنْ بات والهَنْدَباء فى جوفه بات آمنا من الدُّبَيْلة[١]، ومَنْ بات والفجْل فى جوفه بات آمنًا من البَشَم، ومن بات والكَرَفْس فى جوفه بات آمنا من وجع الأضراس، ومَنْ بات والجرْجِير فى جوفه بات وعروق الجذام تتردّد فى صدره، ومن بات والكَرَّاث فى جوفه بات آمنًا من البواسير.

* * *

وقال بعض الفلاسفة: لا ينبغى للعاقل أن يستخفّ بالقليل من ثلاثة أشياء: بالقليل من النَّار، والقليل من السلطان، والقليل من السَّقَم.

* * *

وقال أبو هِفّان: حدّثنى العبّاس بن المأمون قال: كنت عند المأمون ذاتَ يوم وعنده المَوْبَذ، فسأله: ما أنفع الأشياء؟ فقال: الاقتصاد فى الطُّعْم[٢] والشُّرْب؛ فإنّ كثيره يُثَقِّل الجسم، ويوهنُ العلم والفهم، ويكدِّر صفاء البَشَرة، ويفتح الأدواء ويخمد نارَ المعدة، ويمحق شرفَ صاحبِه. فقال المأمون: لو أسلمتَ يا موْبَذ، ولم أستفضِك، كنت قد ضيّعتُ حجَّة الله فى أرضه!.

الحسنُ بن علىّ بن زيد؛ قال: سمعت علىَّ بنَ الجَعْد يقول: لمَّا قدم بَخْتيشوع الأكبر على أبى جعفر من السُّوس، أمر له بالطعام، فلما وُضِعَ بين يديه الخَوان قال: الشرابَ! قيل له: لا يُشرَبُ على مائدةِ أمير المؤمنين؛ قال: لا آكل طعامًا ليس معه شراب، فأُخبر أميرُ المؤمنين بذلك، فقال: دَعُوه، فلما حضر العشاء فعل به مثل ذلك، فطلب الشراب، فقيل له: لا يُشرب على مائدة أمير المؤمنين، فتعشّى وشَرِبَ ماءَ دِجْلة، فلما كان الغد نظر إلى مائه فقال: ما كنتُ أحسب شيئًا يجرى مجرى الشراب، فهذا ماءُ دِجلة يجرى مجرى الشراب - يريد فى المنفعة أنه مثله.

---

(١) الدبيلة: داء فى الجوف.

(٢) الطعم، بالضم: الطعام.

مسَاوئ ما يفسد البدَن

قال: وقال رجل لعبد الملك بن أبجر: أشتهى أن أمْرَض، فقال له: كُلْ سَمَكًا مالحا، واشرب نبيذًا حُلوًا، واقْعُد فى الشَّمس، واستمرِض الله عزَّ وجلَّ، فإن لم تمرضْ فأنت حمار!

محاسِن النّدامَة

رُوِىَ عن عائشة رضى الله عنها، أنّها دخلت على أمّ سَلَمة بعد رُجوعها من وقعة الجمل، وقد كانت أمّ سَلَمة حلفت ألّا تكلّمها أبدًا من أجلِ مسيرها إلى محاربة على بن أبى طالب، فقالت عائشة: السّلام عليكِ يا أمّ المؤمنين، فقالت: يا حائط، ألم أُنْهَكِ! ألم أقل لك! قالت عائشة: فإنّى أستغفر الله وأتوب إليه، كلّمينى يا أمّ المؤمنين، قالت: يا حائط، ألمْ أقل لك! أم أنهكْ! فلم تكلّمها حتى ماتت، وقامت عائشة وهى تبكى وتقول: وا أسفاه على ما فَرَط منّى!.

قيل: وسُئلتْ عائشة رضى الله عنْها، عن أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب - رضى الله عنه - فقالت: وما عسيتُ أن أقول فيه وهو أحبّ الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم! لقد رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد جمع شَمْلتَه على علىّ وفاطمة والحسن والحسين، وقال «هؤلاء أهلُ بيتى، اللهمّ أَذْهِبْ عنهم الرجس وطَهِّرْهم تطهيرًا، قيل لها، فكيف سرتِ إليه؟ قالت: أنا نادمة، وكان ذلك قدرًا مقدورًا.

* * *

وعن جميع بن عُمير، قال: قلت لعائشة: حدّثينى عن علىّ رضى الله عنه، فقالت: تسألنى عن رجل سالتْ نفسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يَده، ولىَ غسلَه وتغميضَه وإدخالَه قبره! قلت: فما حملك على ما كنا منكِ؟ فأرسلت خِمارَها على وجهها وبكتْ وقالت: أمرٌ كان قُضِىَ علىَّ.

* * *

قال: وقال ابن المعافَى لأبى مسلم صاحب الدولة: أيُّها الأمير، لقد قمتَ بأمر لا يُقصِّر بك ثوابه عن الجنة، فى إقامة دولة بنى العبّاس، فقال: خَوْفى من النار والله، أولى من الطمع فى الجنّة، إنى أطفأت من أميَّة جَمْرة، وأهبتُ من بنى العباس نيرانًا، فإن أفرحْ بالإطفاء فواحزنا من الإلهاب!

* * *

وحدّث أبو غلة عن أبيه، قال: سمعت أبا مسلم بعَرَفات فى الموقف يقول باكيًا: اللهمّ إنّى تائب إليك ممّا لا أظنّ أن تغفره لى! فقلت: أيّها الأمير، أيعظُم على الله عزّ وجلّ غفرانُ ذنبٍ فقال: إنى نسجت ثوبًا من الظُّلْم لا يبْلَى مادامت الدَّولة لبنى العبّاس، فكم من صارخ وصارخة تلعنُنى عند تفاقُم هذا الأمر، فكيف يغفر الله عزّ وجلّ لمن هذا الخلْق خصماؤه!

قيل: ولما سَخِطَ عليه المنصور، ووكّلَ به شهرام المْرْوَزِىّ قال له يومًا: الويل لك من الخليفة المنصور! فقال: الويل لى من ربّى، وأين يقع ويلُ ساعةٍ من عذاب الأبد!

مساوئ النَّدامَة

قال: وإلى الكُسَعِيِّ[1] يُضْرب المَثَلُ فى النَّدامة، وذلك أنه كان يرْعَى إبلًا له بوادٍ كثير العُشْب، فبينا هو كذلك إذ بَصُر بنَبْعةٍ[2] فى صخرة، فأعجبتْه فقال: ينبغى أن تكون هذه قَوْسًا، فجعل يتعهّدها حتى إذا أدركتْ قطعَها وجفَّفَها واتَّخذ منها قَوْسًا، فأنشأ يقول:

يـارَب وفِّقْنى لنحتِ قَـوْسِى ... فـإنَّها مـن لـذَّتِى لنـفسِـى
وانفعْ بقَوْسِى ولَدِى وعرْسى ... أنْحتُها صفراءَ مِثـل الوَرْس
* صفراء ليست كقِسىِّ النَّكْسِ[3] * [الرجز]

ثم دهنَها وخَطمها بوَتَر، ثم عَمَد إلى ما كان من بُرايتِها ، فجعل منه خمسة أسهم، فجعل يقلّبها فى كفه ويقول:

هُنَّ وربِّى أسْهُمٌ حِسـانُ ... تَلَذُّ للرَّامى بهـا البنـانُ
كـأنَّمـا قـوَّمهـا الميـزانُ ... فأبشِروا بالخِصْبِ يا صبيانُ
* إن لم يَعُقْنى الشؤمُ والحرْمانُ * [الرجز]

ثم خرج حتى أتى مواردَ حُمُر الوحش فكَمَن فيها، فمرّ قَطيع منها، فرَمى عَيْرًا فأخْطَأَه[4] السهم حتّى جازه وأصاب الجبل، فأورى نارًا، فظنَّ أنه أخطأ فقال:

أعـوذُ بـالله العـزيـز الـرحمٰنْ ... من نكَـدِ الجَدِّ معًـا والحِرْمـانْ
مالى رأيتُ السهمَ بَيْنَ الصَّوَّان ... يورِى شَرَارًا مثلَ لوْنِ العِقْيان
* فأخلفَ اليومَ رجاءَ الصبيانْ * [الرجز]

ثم مكث على حاله، فمرّ به قطيعٌ آخر، فرمى عَيْرًا منها فأخطه السهمُ، فصنع صنيعَ الأوّل، فقال:

لابارَك الرحمنُ فى رَمْىِ القَتَرْ ... أعوذُ بالرحمن من سُوءِ القدَرْ
أأخطَط السهمُ لإرهاق الضَّررْ ... أمْ ذاكَ من سُوءِ احْتيالٍ ونظرْ!
[الرجز]

ثم مكث على حاله، فمرّ به قطيع آخرُ فرمى عَيْرًا منها؛ فأخطه السهم، فقال:

(١) فى مجمع الأمثال عن حمزة: «هو رجل من كعب واسمه محارب بن قيس».
(٢) النبعة: واحدة النبع؛ وهو شجر تتخذ منه القسى، ومن أغصانه السهام، ينبت فى قلة الجبل.
(٣) ط: «صلباء»، وما أثبته من مجمع الأمثال.
(٤) مجمع الأمثال: «أى أنفذه فيه وجازه».

ما بالُ سهمى يـوقِدُ الحُباحبَا قد كنتُ أرجو أنْ يكون صائبًا
وأمكنَ العَـيْرُ وأبـدَى جـانِبًا فصـارَ رأيى فيه رأيًـا خـائِبـا
[الرجز]

ومكث مكانه[١]، فمرّ به قطيع آخرُ، فرمى عَيْرًا منها، فأصْرد[٢] السهم، فصنع صنيع الأوّل، فقال:

أبعدَ خمسٍ قد حفظتُ عدَّهـا أحمـلُ قَـوْسى وأريـدُ رَدَّهـا
أخـزَى الإلَـهُ لينهـا وشـدّهـا واللهِ لا تَسْلَمُ عنـدى بعـدَهـا
* ولا أرجِّى ما حييتُ رِفْدها * [الرجز]

ثم عَمَدَ إلى القوس فضرب بها حجرًا فكسرها، ثم بات، فلمّا أصبح إذا الحُمُرُ مطرّحةٌ حولَهُ، وأسهمُهُ مضرَّجةٌ بالدم، فندم على كَسْر قوسه، وشدَّ على إبهامه فقطعَها، وأنشأ يقول:

نـدِمْتُ نـدامـةً لـو أنّ نفسِى تـطاوعُنى إذن لقَـطَعْتُ خَمْسى
تبـيّن لى سَفـاهُ الـرأىِ مِـنّى لعَمْرُ أبيكَ حينَ كسرتُ قـوْسى
[الوافر]

وقال الفرزدق:

نـدِمتُ نـدامـةَ الكُسَعِىّ لمـا غـدَتْ منّى مـطلّقـةً نَـوَارُ[٣]
وكـانتْ جَنّتى فخـرجتُ منهـا كـآدَمَ حينَ لـجّ بـه الضّـرارُ
[الوافر]

* * *

ومنه ما قيل فى خُفَّىْ حُنين، وكان حُنين إسكافًا من الحيرة، فساومه أعرابى بخفّيْه، واختلفا فى ذلك حتى أغضبه، فأراد أن يغيظ الأعرابىّ، فلمّا ارتحل أخذ حُنين الخُفّين، فألقى أحدهما على الطريق، وألقى الآخَرَ فى موضع آخر من طريقه، فلمّا مرّ الأعرابىّ رأى أحدَهما، فقال: ما أشبه هذا بخفّ حُنين! ولو كان معه أخوه نزلتُ فأخذته، ومضى. فلمّا انتهى إلى الآخر ندم على ترك الأوّل، وأناخ راحلتَه، فأخذه ورجع إلى الأول، وقد كمَن له حُنين، فعَمدَ إلى راحلتِه، فذهب بها وما عليها، وأقبل الأعرابىُّ وليس معه إلّا الخُفّان، فقال له قومه: ما الذى أتيت به؟ قال: أتيتُ بخفّى حُنين، فضربته العرب مثلا، وقال الشاعر فى مثله:

لتَقْرَعنَّ علىَّ السِّنَّ من نَدَمٍ إذا تذكّرتَ يومًا بعضَ أخلاقى[٤]
[البسيط]

---

(١) فى مجمع الأمثال: «ثم مكث مكانه؛ فمر به قطيع آخر، فرمى عيرا منها، فصنع صنيع الثالث، فأنشأ يقول:
يـا أسفَـا للشُؤْم والجـدِّ النَّكِـدْ أخلَف مـا أرجـو أهـلِ ووَلَـدْ
(٢) أصرد: أخطأ.
(٣) ديوانه ٣٦٣، وانظر مجمع الأمثال ٢: ٣٤٨، ٣٤٩. (٤) مجمع الأمثال ٢: ٢٧٢، الفاخر ٩٧.

محاسِن الحنين إلى الوطن

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ولوْ أنَّا كَتبْنَا عَلَيهم أن اقْتُلُوا أنفُسكُم أو اخْرُجوا مِن دِيَارِكُمْ ما فعلوهُ إلَّا قليلٌ منهمْ﴾[1]؛ فَقَرن جلّ ذكرُه الجلاء عن الوطن بالقتل، وقال جلّ وتعالى: ﴿وَمَالنا ألَّا نُقَاتِلَ فى سبيلِ الله وقد أُخْرِجْنَا من ديارنا وأبنائنا﴾[2]، فجعل القتال ثأرًا للجلاء.

وقال النبى ﷺ: «الخروجُ عن الوطن عقوبة».

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لولا حُبُّ الوطن لخرب بلدُ السوّء.

وكان يقال: بحبِّ الأوطانِ، عُمرت البلدان.

وقال جالينوس: يتروّح العليل بنسيم أرضه، كما تتروّح الأرض الجدْبَةُ ببَلَل المطَر.

وقال بُقْرَاط: بداوَى كلّ عليل بعقاقير أرضِه، فإن الطبيعة تنزِع إلى غذائها.

ومما يؤكّد ذلك قولُ أعرابىّ وقد مرض بالحُمْرة[3]، فقال له قائل: ما تشتهى؟ قال: مَحْضًا[4] رَوِيًّا مشوِيًّا.

وحدّث عن بعض بنى هاشم قال: قلت لأعرابىّ: من أين أقْبَلْت؟ قال: من هذه البادية، قلتُ: وأين تسكن منها؟ فقال: مساقط الحمى، حِمى ضَرِيّة[5] هالعمر الله ما نُريد بها بدلًا، ولا نبغى عنها حِوَلا، نفحتْها القدَوات[6] وحفَّتْها الفَلَوات، فلا يعلولج[7] ترابُها، ولا يتمعرّ[8] جنابُها، ولا يملولح ماؤها، ليس بها أذًى ولا قذى، ولا موم، فنحن فيها بأرْفِه عيش، وأنعم معيشة وأرغد نعمة!

قلت: فما طعامكم؟ قال: بَخْ بَخْ، عيشُنا عيشُ تعلُّل جاذبه، وطعامُنا أطيَبُ طعام واهنَؤُه وأمرؤُه: الفثّ[9] والهبيد[10]، والصليب[11] والعنكث[12] والعِلْهِزُ[13] والذَّآنين[14]، واليَنمة[15]،

---

(١) سورة النساء ٦٦.
(٢) سورة البقرة ٢٤٦.
(٣) ط: «الخضرة»، تصحيف. والحمرة من الأدواء المعروفة.
(٤) المحض: اللبن الخالص.
(٥) ضرية: قرية فى طريق مكة من البصرة.
(٦) القدات: الرائحة الطيبة.
(٧) يلوت: «يملولح».
(٨) لا يتمعر: لا يجدب.
(٩) الفث: حب برى يأكله أهل البادية عام القحط بعد دقه وطبخه.
(١٠) الهبيد: الحنظل.
(١١) الصليب: الودك.
(١٢) العنكث: نبت يشتهيه الضب.
(١٣) العلهز: دم القراد والوبر يخلط ويشوى ويؤكل زمن الجدب.
(١٤) الذآنين: نبت تنشق عنه الأرض فيخرج مثل سواعد الرجال لا أوراق له.
(١٥) اليَنمة: نبت من أحرار البقول ينبت فى السهل له أوراق طوال لطاف مجدب.

والعراجين[١]، والحَسِلة[٢]، والضباب واليرابيع والقنافذ والحيّات، وربتما والله أكلنا القِدّ، واشتوينا الجلد، فما نعلم أحدًا أخصب منّا عيشًا ولا أرخى بالًا، ولا أعمر حالًا، أو ما سمعت قول الشاعر، وكان الله بصيرًا برقيق العيش ولذيذه؟ قلت: وما قال؟ قال: قوله:

إذا ما أصبنا كلّ يوم مُذَيقَةً ... وخمسَ تُميراتٍ صغارٍ كوانزِ[٣]
فنحنُ ملوكُ الناسِ خِصْبًا ونعمةً[٤] ... ونحنُ أسودُ الناسِ الهزاهِزِ
وكم مُتَمنٍّ عَيْشَنا لا ينالُهُ ... ولو نالَه أضحى به حقّ فائزا

[الطويل]

فالحمد لله على ما بَسَط من حسن الدَّعة ورَزَق من السعة، وإياه نَسأل تمام النعمة[٥].

* * *

وقيل لأعرابيّ: كيف تصنع بالبادية إذا انتصف النهار. وانتعل كلّ شيء ظِلّه؟ قال: وهل العيش إلّا ذاك! يمشي أحدُنا ميلًا فيرفضّ عَرَقًا كأنّه الجُمان، ثم ينصِب عصاه، ويُلقي عليها كساءه، وتقبِل عليه الرِّياح من كلّ جانب، فكأنّه في إيوان كسرى.

---

(١) العراجين: نوع من الكمأة.
(٢) الحسلة: جمع حسل: وهو ولد الضب.
(٣) معجم البلدان: «كنائز».
(٤) معجم البلدان: «فنحن ملوك الناس شرقا ومغربا».
(٥) الخبر في معجم البلدان ٥: ٤٣٣، ٤٣٥.

ذكْر من اختار الوطن على الثروة

قال بعض الأدباء: عُسْرُك فى بلدِكَ؛ خير من يُسْرِك فى غُرْبتِك.

وقيل لأعرابىّ: ما الغبطة؟ قال: الكفاية، ولزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان. قيل: فما الذِّلّة؟ قال: التنقّل فى البلدان، والتَّنحّى عن الأوطان.

وقال بعض الأدباء: الغربة ذِلّة، فإن رَدِفها علّة، وأعقَبتْها قِلّة، فتلك نفسٌ مضمحلّة.

وقالت العرب: الغربة ذِلّة، والذِّلة قِلّة.

وقال آخر: لا تنهض عن وكْرِك فتنقُصك الغربة، وتضيمك الوَحْدة.

* * *

وشبّهت العرب والحكماء الغريبَ باليتيم اللَّطيم الّذى ثكل أبويْه؛ فلا أمّ تَرْأَمُ له، ولا أب يحدِبُ عليه.

وكان يقال: الجالى عن مَسقَط رأسه كالعَيْر الناشز عن موضعه، الذى هو لكل سَبُعٍ فريسة، ولكلّ كلب قنيصة، ولكل رامٍ رميَّة.

وكان يقال: الغريب عن وطنه ومحلّ رضاعه، كالْغَرْس الذى زايَلَ أرضَه، وفَقَد شربَه، فهو ذاوٍ لا يثمِر، وذابلٌ لا يَنضُر، وأنشد:

ومُغتـرب بـالمـرْج يبكى لشَجـوِهِ ... وقد غابَ عَنْه المسعدُون على الحب
إذا ما أتاه الرَّكبُ من نحو أرْضِه ... تنفَّسَ يَستشفى بـرائحـةِ الـركب

[الطويل]

آخر:

إذا ماذَكَرْتُ الثغْر فاضتْ مدامعى ... وأضحَى فـؤادى نُهبـةً للهَمـاهمِ
حنينًا إلى أرضٍ بِهَا اخْضَرّ شاربى ... وحُلّتْ بهـا عنّى عقـودُ التمـائمِ
وألـطفُ قومٍ بـالفتى أهلُ أرْضِـه ... وأرعـاهُمُ للمـرء حقّ التقـادمِ

[الطويل]

ولآخر:

أحنُّ إلى أرض الحجـاز وحـاجَتى ... خيـامٌ بنجدٍ دُونها الـطّرفُ يقصـرُ
وما نظَرى منْ نحو نجدٍ بنافِعى ... أجـلْ، لَا ولكنّى على ذاك أنْـظُر

أفى كلّ يومٍ نظْرةٌ ثم عَبرَةٌ لعينيْك يجرى ماؤها يتحدَّرُ!
متى يستريح القلبُ إمَّا مجاوِرٌ حزينٌ، وإمَّا نازح يتذكّرُ!
[الطويل]

الطائىّ:

نقّلْ فؤادَك حيثُ شئتَ من الهوى ما الحبُّ إلّا للحبيبِ الأوّل
كَمْ منزلٍ فى الأرض يألَفُهُ الفتى وحنينُهُ أبدًا لأوّل منزل!
[الكامل]

مَساوئ من كَرِه الوطن

قال بعضُ الفلاسفة: اطلُبوا الرِّزْق فى البُعد، فإنكم إن لم تكسبوا مالاً، غنِمْتُم عَقْلاً كثيرًا.

وقال آخَر: لا يألف الوطنَ، إلّا ضيّقُ العطَن.

وقيل لآخر: ما أصبرك على الْغُربة؟ فقال: أنِستُ بالنوائب حتّى ما أعرف غيرَها، وغُذيتُ بالمكاره فما أجد ضَيْرَها.

ومدح أعرابىٌّ رجلاً فقال: خرّجَتْه الغربة، ودرَّبْته التجربة، وضرّسْته النوائب.

وقال آخر: ما حَنّ أحدٌ إلى بلد لا جُمع فيه شملُه إلّا لوَصْمةٍ فى عقْله، ولا تنزع نفسُه إلى بلدٍ قَلَّ به رِفْدُه، إلّا لاستيلاء المُوقِ عليه.

وقيل لآخر: ما العيش؟ فقال: دَوران البُلْدان، ولقاء الإخوان، ومغازلة القيان، واستماع الأغانى والنغَمات من الزِّير[1] والمثانى[2].

وقد قيل: مَنْ صَبَرَ على الغربة أمِن الكُرْبة، وأفضلُ العُدّة، الصبرُ على الشّدّة.

وقالوا: لا توحشنَّك الغربة إذا أنستَ بالكفاية، ولا تجزَعْ لفراق الأهلِ مع لقاء اليَسار.

وقيل: الفقير فى الأهل مَصْروم، والغنىّ فى الغُربة موصول.

وقيل: أوْحِش قَوْمك ما كان فى إيحاشهم أنسُك، واهجُرْ وطنك ما نبتْ عنه نفسُك.

وقرئ على باب خانٍ بطرَسوس:

ما من غريبٍ وإنْ أبْدَى تجلُّدَهُ ... إلّا تَذكّرَ عند الغُربةِ الوطنا

[البسيط]

وأسفله مكتوب:

أيرُ الحمارِ وأيرُ البغلِ فى القَرَنِ ... فى اسْتِ الغريبِ إذا ماحنَّ للوطن

[البسيط]

---

(١) الزير: الدقيق من الأوتار.

(٢) المثانى من أوتار العود: ما بعد الأول، واحده مثنى.

الطائىّ:

لا يَمنعنَّكَ خفْضَ العيش تَطْلُبُهُ ... نِزاعُ شوْقٍ إلى أهْلٍ وأوطان
تَلْقَى بكلّ بلادٍ إنْ حَللتَ بها ... أهلًا بأهلٍ وجيرانًا بجيران
[البسيط]

ولآخر:

نبَتْ بكَ الدارُ فَسِرْ آمنًا ... فَلِلفتى حيثُ انتهى دارُ
[السريع]

ورُوى عن كعب بن مالك، أنَّهُ وَصفَ وحشة المدينة لغيبة النبى ﷺ فقال: تنكّرتِ البلادُ فما هى بالبلاد التى تَعرِف، وتَنكّرَ النَّاسُ فما هم بالناس الّذين نعْرف.

وقال معناه قال الشاعر:

فما النّاسُ بالناسِ الذينَ عهدتُهمْ ... ولا الدارُ بالدارِ التى كنت أعْرِفُ
[الطويل]

وأنشد:

لا تقنعنَّ ومَطْلَبٌ لك مُمْكِنٌ ... فإذا تضايقتِ المطالبُ فاقْنَعِ
[الكامل]

وأنشد:

كم المقامُ وكم تعتادُكَ العِلَلُ[1] ... ماضاقَتِ الأرضُ فى الدنيا ولاالسُّبُلُ
إن كنْتَ تعلمُ أنَّ الأرضَ واسعةٌ ... فيها لغيرِكَ مُرْتَادٌ وَمُرْتَحَلُ
فارْحَلْ فإنّ بلادَ الله ما خُلِقَتْ ... إلّا ليُسلكَ منها السَّهْلُ والجبلُ
الله قد عَوَّدَ الحسنَى فما برِحتْ ... عندى لهُ نِعَمٌ تَتْرى وتتّصِلُ
إنْ ضاق بى بلد هيَّا لهُ عِوَضا ... وإنْ نأى منزلٌ بى كان لى بَدَلُ
وإنْ تغيّر لى عن وُدِّه رجلٌ ... أصفَى المودَّةَ لى من بعدهِ رجلُ
لم يقطعِ الله لى من صاحب أملًا ... إلّا تجدَّدَ لى منْ بعده أملُ
لا تمتَهِنْ أبدًا خدَّيْكَ من طَمعٍ ... فما لوجهكَ نورٌ حينَ يُبتَذَلُ
وابغ المكاسِبَ من أزكى مطالبها ... من حيثُ تحْمَلُ حتى ينفد الأجَلُ
[البسيط]

---

(١) ك: «تقتادك».

ولآخر:

إذا مـا أطـال المـرءُ مُكْثـا ببـلدةٍ ... تَـعقَّبـهُ مـنْ بـعـد جِـدَّتِـهِ نَـكْسُ
ولـو أنّ هـذى الشمسَ دامَ طـلوعهـا ... أوالبـدْرَ لَمْ يُحجَبْ ولاحُجِّبَتِ الشمسُ
فجُـلْ طالبًـا للرزق فى الأرض واغترِبْ ... ففى كـلِّ أرض للفتى الأكـلُ واللبْسُ
[الطويل]

ولآخر:

وإذا الـديـارُ تنكّـرَتْ عن أهلهـا ... فَـدَعِ الـدّيـار وأسْـرِع التَّحْـويـلَا
ليس المُقَـامُ عليـك حتـمًا واجبًـا ... فى بـلدةٍ تـدعُ العـزيـز ذليـلَا
[الكامل]

آخر:

إذا خِفْت منْ دارٍ هَـوانًـا فـإنّمـا ... ينَجيِّـكَ من دارِ الهوان اجتنـابُهـا
[الطويل]

ولآخر:

اصْبر على حـدَثِ الزمـان فإنّمـا ... فَرجُ الحوادث مثلُ حَلّ عِقـالِ
وإذا رأيت من ابن عمِّك جَفْوةً ... فـاشْدُدْ يـديْك بعـاجل التَّـرحالِ
إن المُقـامَ عـلى الهـوان مَـذلّـةٌ ... والعجـزُ آفـةُ حـيلةِ المحتـال
[الكامل]

* * *

وقد قيل فى حبّ الوطن: أحقُّ البُلْدان بنَزْعِك إليه بلدٌ أَمَصَّك حلب رضاعِهِ.

وقيل: احفظ بلَدًا أرشحك[1] غذاؤه، وارْعَ حِمًى أكنّك[2] فِناؤه.

وقيل: لا تشكونّ بلدًا فيه قَبائلُك، ولا أرضًا فيها قوابلُك.

وقيل: من علامة الرّشد أن تكون النفسُ إلى أوطانها مشتاقة؛ وإلى مولِدها توّاقة.

قيل: ولما خرج الرشيد إلى خُراسان وصار بعَقبةِ هَمَذان، أنشأ يقول:

حتى متى أنـا فى جِلٍّ وتَـرْحال ... وطـولِ هَمٍّ بـإدبـارٍ وإقبـالِ
ونـازحُ الـدار لا ينفـكُّ مغْتـربًـا ... عن الأحبّة لا يدرُون ما حالى
فى مشرقِ الأرض طورًا ثم مغربها ... لا يخطرُ الموتُ من حرْصى على بالِ
ولوْ قنعتُ أتانى الرزقُ فى دَعةٍ ... إن القُنُوعَ الغِنى لا كثرة المالِ
[البسيط]

* * *

(١) فى المحاسن والأضداد: «أرسخك».

(٢) المحاسن والأضداد: «اكتنفك».

وذكروا أن أبا دُلَفٍ لمّا وَلِيَ الشام، طالَ مُقامُه، فحنَّ إلى وطنه، فكتب إلى يزيد بن مَخش[١]:

أيـزيـدُ طـالـتْ غُـرْبـةٌ ومُقـامُ ... وبُكًـا فـأسعـدَهُ البكـاءَ حمـامُ
أيـزيدُ هـل من مطمعٍ فى أوْبةٍ ... لـتـيَّـم طـالـتْ بـه الأيّـامُ
لَعِبَ الفـراق بنـوْمـه فـأفـاتـهُ ... طيبَ الكَرى فـدمُـوعُـه تَسْجَـامُ
مـا نام عنـه وإن رقدتْم شـوْقُهُ ... والشـوْقُ يَسْرِى والعيـونُ نيـامُ
والشـوقُ ألـزمـهُ البكـاءَ فنفسـهُ ... حَـرَّى وأذْبـل جِسْمـهُ التّهْيـامُ
يا طائفًا أهدى السلام إلى فتًى ... تُهْـدى إليّ سـلامـك الأحـلامُ
أنَّى وكـيف ينـامُ صبٌّ هـائـمٌ ... أفْـضَتْ إليـه بسـرّه الأقـلامُ!
يـا جانبَ الأهْـوازِ جـادِك وابـلٌ ... وسقـاك من دَيمِ الرّبيعِ رهـامُ
كم فيـكَ مِنْ شَجنٍ ومَأْنَسِ وَحْشـةٍ[٢] ... ومُحـبَّـبٍ تُـشْـفَـى بـه الأسـقـامُ
فـلئن أحـلّكـمـا الـزمـانُ ببـلدةٍ ... مـن دونها القـفـراتُ والآكـامُ
وشـواهقٌ تزعُ السحـاب، شوامـخٌ ... لَيْست وإن دأب المَـطِيُّ تُـرامُ
أنَّى أرى الأيـام تجمـعُ بيـننـا ... والـدهـرُ فيـهِ مسـرّةٌ وغـرامُ!
أيـزيدُ سـاعدك الـزّمـانُ وخـاننـا ... والـدّهـرُ ليس لحـالتيْـه دوامُ
تمسِى ضجيعِ خريـدةٍ ومُضـاجعِى ... عضبٌ حـديـدُ الشّفـرتـين حُسـامُ
وتجـرُّ أذيـال النّعـيـم مُـرفّـلًا ... وأظـلُّ يكسـونى الشحـوب قَتَـامُ
مُتسـربـلًا حلَق الحـديـد يَحُفُّنى ... لجبٌ يضيقُ به الفضـاءُ لُهـامُ[٣]
من كلّ أشعث فى الحديد مُقنّعٍ ... ذرَب الحسـام كـأنـه ضـرغـامُ
والحـربُ حـرفتنـا وليست حـرفـةً ... إلّا لمن هـو فى الـوغَى مقـدامُ
نُعرى السيوف فـلا تزالُ عـريّةً ... حـتى تكـون جـفـونَهُنّ الهـامُ
مـا للزمـان اعتـاقنـا من بينكُم ... فجـرت علينـا للزّمـان سهـامُ
يـاليتـهُ إذا لم يـدُمْ إحسـانُـهُ ... ألّا يـكـون لمـا أسـاءَ دوامُ!

[الكامل]

فبلغ شعره المأمون فقال: حنَّ القاسم بنُ عيسى إلى وطنه! وأمره بالانصراف.

* * *

وقال الأصمعىّ: قدم سعيد بن ضمضم على الحسن بن سهل فأنشده قصيدةً يصف فيها حنينه إلى سوء حاله بالبادية ويستميحُه:

سـقـيًـا لحـىٍّ بـالّـلوى عـهـدتهـمْ ... مـنـذُ زمـانٍ ثُـمَّ هـذا رَبْـعـهُـمْ

---

(١) «محنش».

(٢) ل: «كم قيل».

(٣) اللهام: الجيش العظيم: كأنه يلتهم كل شىء.

عهدتهمْ والعيش فيه غِرّةٌ ... ولم ينُاوِ الحدثانُ شعبَهمْ
ولم يَبينوا لنوًى قذّافةٍ ... تقطَعُ حبْلى من وصال حبلِهمْ
فليت شعرى هل لهُم من مطلبٍ ... أو أجدنّ ذات يوم بَذْلَهمْ
أو يُعذَرنّ بالبكاءِ إن بكى ... صبٌّ مُعنًى مُستخَف إثرَهُمْ
مُكلَّفٌ بالشوقِ لا ينساهُمُ ... يمنحُهُمْ ودًّا ويرعى عهدهمْ
ويَنذُرُ النذُور إن رآهُمُ ... وعاد يومًا عيشُهُ وعيْشُهمْ
ولا وربِّ العرشِ لا يلقاهُمُ ... ولا يعودُ عيدُهُ وعيدُهمْ
وكيف يلقاهم كبيرٌ سنّهُ ... وقد مضى الدهرُ وطاح نجمُهمْ
هيهات عدِّ النّفسَ عن ذكراهُمُ ... واقصدْ لنحوِ آخرين غيرِهمْ
هذا وقد رأيتُنى فلم أَلُمْ ... رأيى إذا لام الرجالُ رأيهمْ
أدْعو ابن سهل حسَنًا ومَجْدَهُ[1] ... حين تَعَنَّا بعيالى أمرُهمْ
أظلُّ أدْعو باسمه ودونهُ ... قوم كثيرٌ رغبةً تركتُهمْ
تَخَيُّرًا اخترْتهُ عليهمُ ... ولابهمْ بأسٌ ولا ذممتُهُمْ
نامُوا فلمّا أنْ رأيتُ نومَهُم ... عنى تحمَّلتُ فما أيقظتُهُمْ
يابن كرامٍ كابرًا عن كابرٍ ... زانوك زيْنًا باقيًا وزِنْتَهُمْ
كانوا هُم الأشراف سادوا كلُّهُمْ ... ما فى جميع العالمين مثلُهمْ
بنوْا جميع المجد فيما قد مضى ... وأنت تبنيه كذاك بعدَهُمْ
فى شرفٍ مؤيّدٍ أركانهُ ... لم يَبْنِهِ بانٍ سواهم قبلهمْ
فيابن سهلٍ وابن آباءٍ لهُ ... كانوا مناجيب قديمًا فضلُهمْ
والله ما تصبحُ بين معشرٍ ... إلّا وأنت شمسُهم وبدرُهمْ
والناسُ آخاذٌ وماءٌ ناقِعٌ[2] ... وغدُرٌ تجرى وأنت بحرُهمْ
والنّاسُ أجناسٌ كما قد مُثلوا ... وفيهُم الخيرُ وأنت خيرهمْ
حاشا أمير المؤمنين إنّهُ ... خليفةُ الله وأنت صهرُهُمْ
إليك أشكو صبْيةً وأمَّهمْ ... لا يشبعون وأبوهم مثلُهمْ
قد أكلوا الوحش فلم يشْبعُهم ... وشربوا الماءَ فطال شُربُهمْ
وامتذقوا المذق فذا دُنياهُم[3] ... والمضغ إن نالوهُ فهو حسبُهمْ[4]
لا يعرفون الخيرَ إلّا ذكرهُ ... والدهر هيهات فليس عندهُمْ
وما رأوا فاكهةً فى عيصِها ... ولا رأوها وهى تهوى نحوهمْ
وما لهم من كاسبٍ علمتهُ ... على جديد الأرض غير جَحْشِهمْ

---

(١) ل: «مجدهم».
(٢) الآخاذ: الغدير، ويجمع نادرا على آخاذ.
(٣) ط: «فيادنياهم».
(٤) ط: «حسبهم».

وجحْشُهم قد بات منهوبَ القِرى ... ومثلُ أعواد الشَّكاعَى كلبهمْ[١]
كأننى فيهم وإن ولِيتُهمْ ... كانوا موالىّ وكنتُ عبدَهمْ
مجتهدًا بالنصر لا آلوهمُ ... أدعُو لهم: يارَبّ سلِّم أمرهمْ
وتارةً أقولُ مما قد أرى: ... يارَبّ باعدهم وباعِدْ دارهم
يأوون بالليل إذا ما أحرجوا ... إلى ذَرَا اللُّهَم وهى قِدْرُهم[٢]
بها يطوفون إذا ما اجْرَنْثَمُوا[٣] ... وهى أبوهم عندهم وأمّهم
زُغب الرءوس قُرّعت هاماتهمْ ... من البلاءِ واسمأدّ سمعهم[٤]
بل لو تراهم لعلمت أنهمْ ... قومٌ مساغيبُ قليلٌ نومهم
وكالسَّعالى فى طوى مُسوكها ... فلو يعضُّون لذكّى سمُّهم
قد جرّسوا الدَّهر وقد بلاهُم[٥] ... هذا وهذا دأبُه ودأبهمْ
ولا يعيشون بعيشٍ سابغٍ ... ولا يموتون وذاك قصرُهمْ
وقد رجونا يابن سهل نائلا ... منك يرِمُّ فقرهم وبؤسَهُمْ
فإنما أنت حَيَا أمثالهم ... فجُد لهم بنائل لا تَنْسَهُمْ
وأسْدِ نعماك إليهمِ واتَّخذ ... حمدًا وشكرًا كلَّ ذاك عندهُمْ
هذا وأنت قدْ حُرمتَ حظَّهُمْ ... فلا تجودنّ لخلقٍ بعدهم
[الرجز]

فقال له الحسن: سل ما شئت[٦] وتمنَّ ما أحببت، فلو خرجتُ إليك من ملكى كلِّه ما كافأتك. فقال: تشترى لى غُنيمات، وتردّنى إلى البادية. فقال: تحنّ إلى مكان تصفه بهذه الصفة! قال: الوطن، الوطن! فاشترى له ألف شاة وأعطاه عشرين ألف درهم، وردّه إلى وطنه.

* * *

ومما قيل فيمن كره الغربة. قال ابن أبى السرح: قرأت على حائط خان بالأهواز:

إنّ الغريب ولو يكونُ ببلدةٍ ... يُجبى إليه خراجُها لغريبُ
وأقلّ ما يلقىَ الغريبُ من الأذى ... أن يُستَذلَّ وقولُهُ مكذوبُ
[الكامل]

* * *

قال: وقرأت على حائط خان بعسكر مُكرَم، من الأهواز:

إنَّ الغريب إذا ينادِى مُوجعًا ... عند الشدائد كان غيرَ مُجابِ
فإذا نظرتَ إلى الغريب فكُن به ... مُتراحمًا لتَباعُد الأحبابِ
[الكامل]

---

(١) الشكاعى: شجر ذو شوك.
(٢) اللهيم: القدر الواسعة.
(٣) اجرنثموا: اجتمعوا.
(٤) اسمأد الشىء: دهب.
(٥) المجرس: الذى جرب الأمور.
(٦) ك: «حاجتك».

قال: وقرأت على حائط خان ببغداد فى الجانب الغربىّ:

غـريبُ الدار ليس لـه صديقُ ... جميعُ سؤالـه: كيف الـطريقُ؟
تـعلَّقَ بـالـسؤال بـكـلِّ شىءٍ ... كـما يتعلّقُ الـرجـلُ الغَـريق
فـلا تجـزع فكـلُّ فتًى ستـأتى ... عـلى حـالاتـه سَعـةٌ وضيق
[الوافر]

قال: ووجدتُ على بابٍ مكتوبًا:

عليك سلامُ الله يـا خير منـزلٍ ... رَحَلْنـا وخلّفنـاك غـير ذَميـمِ
فـإن تكن الأيـامُ فـرَّقْن بيننـا ... فـما أحـدٌ مـن ريْبِهـا بسـليم
[الطويل]

وأنشد:

أقمنـا مُكـرَهـين بهـا فلمّا ... ألفناها خَـرجْنـا مُكـرَهينَـا
ومـا حُبُّ البـلاد بنـا ولكن ... أمرُّ العيش فُرْقةُ مَنْ هَوينا
[الوافر]

ولآخر:

أقمتُ بـأرضكم بـالكُـرْه منّى ... فَلمّا طـاب لى فيهـا المقيـلُ
وأوطنتُ الـبـلاد وجُنَّ قـلبى ... بغـزلانٍ بهـا، أزِف الـرحيـلُ
[الوافر]

ولآخر:

وإنّ اغـتـراب المـرءِ من غـير فـاقـةٍ ... ولا حـاجـةٍ يـسمُـو لهـا لـعجـيبُ
فحسبُ الفتى بخْسًـا وإنْ أدرك الغنى[1] ... ونـال ثـراءً أن يـقـال غـريـبُ
[الطويل]

ولآخر:

أىُّ سـرور لعـلاشِ مُغتـربٍ ... فـردٍ وحيدٍ نـاءٍ عن الـوطنِ!
لا تطمَعُ النَّفسُ فى هواهُ ولا ... يكحـلُ عينًـا بمنـظر حسـن
[المنسرح]

ولآخر:

سَـلِ الله الإياب من المغيب ... فكم قد رَدَّ مثلك من غريبِ

(١) المحاسن والأضداد: «نحسا».

وسلِّ الحزن عنك بحسن ظنٍّ ولا تَيْئَس من الفرج القريب
[الوافر]

آخر:

تصبَّر ولا تعجل وُقيت من الرَّدَى[١] لعلَّ إياب الظاعنين قريبُ
فقلتُ وفى قلبى جوىً لفراقها ألا لا تُعزّينى فلستُ أجيبُ!
أعاذلَ حبِّى للغريب سجيَّةٌ وكلُّ غريبٍ للغريب حبيبُ
لئن قلت لم أجْزِع من البين إن مضوا[٢] لطيّتهم، إنّى إذَنْ لكذُوبُ
بلى غُبَّراتُ الشّوق أضرمت الحشا ففاضت لها من مُقْلتىَّ غُرُوبُ
[الطويل]

ولآخر:

إذا اغترب الكريمُ رأى أمورًا مُجَلِّحَةً يشيبُ لها الوليدُ
[الوافر]

* * *

قال أبو الحسين محمد بن أحمد بن يحيى بن أبى البغل: أنشد أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب:

ما كنتُ أحسبُ أن يكو ن كذا تفرُّقنا سريعًا
بَخِل الزمانُ علىّ أن نبْقى كما كنّا جميعا
فأحلنى فى بلدةٍ وأحلّك البلد الشّسيعا
قد كنتُ أنتظرُ الوصا ل، فصرتُ أنتظرُ الرجوعا
[الكامل]

ولآخر:

إلفان كانا لهذا الحب قد خُلقا دامًا عليه، فتمَّ الوصلُ واتّفقا
كنّا كغُصنيْن فى عودٍ فغالهما[٣] ريبُ الزمان وصرفُ الدَّهر فافترقا
فاصفرَّ عودُهما من بعد خضرته وأسقط البينُ من عوديْهما الورَقا
[البسيط]

ولآخر:

أتظعنُ والذى تهوى مُقيمُ لعمرُك إن ذا خطبٌ عظيمُ!
إذا ما كنت للحدَثان عوْنًا عليك وللفراق، فمن تلُومُ!
[الوافر]

(١) ك: «سلمت».
(٢) ك: «قضوا».
(٣) ك: «فنالها».

آخر:

لقد شفّنى أنّى أدُورُ ببلدةٍ ... أخلّاى منها نازحون بعيدُ
أقلّبُ طَرْفى فى البلاد فلا أرى ... وُجوه أخِلّاى الّذين أريدُ!
[الطويل]

آخر:

قف بالمنازل وقْفة المشتاقِ ... واسْفحْ بها من دمعك المهراق
لا تبخلنَّ على الديار بأدمُعٍ ... يجرين بين محاجرٍ ومآقى
تلك الديارُ كما عهدْت عَمِيرةٌ[1] ... لكنها صِفْرٌ من الطُّرّاق
لم يُبْقها أمدٌ تقادم عهدُهُ ... فالدَّمعُ ينطقُ والرسومُ بواقى
لهفِى على زمن مضتْ أيّامُه ... والعَيْشُ غَضٌّ مُورقُ الأوراق!
أيامنَا ما كنتِ إلّا خُلسةً ... كسف الهْلَال عراه وجهُ محاق
أو نظرةً من خائفٍ لم يُنْجه[2] ... خوفُ الحذار وشدّة الإشفاق
وكذاك أيّامُ السّرُور قصيرةٌ ... لكنَّ أيام البلاءِ بواقى
كيف اللقاءُ وقد تطاوحت النّوى ... شتّان بينَ مشائمٍ وعراق!
يا ليت شعرى كيف عهدُ أحبَّتى ... لما أظلّهُمُ وشيكُ فراقى!
ظنّى بهم حَسَنٌ وكيف بأوْبةٍ ... تُرْوِى غليل مُتيَّمٍ مشتاق!
[الكامل]

* * *

ومنها نجديات:

ألَا هلْ أرى حُورًا تبرقَعْنَ بالحمى ... وهل أجْتَنى بالعيْن من خَدِّهِمُ وَردَا
لعلِّى أرى نجدًا ومنْ حلّ بالحمى ... فأحْسبُ من نجدٍ على كبدى بردا
خليلىَّ قد داويتُ عقلًا سُلِبتُهُ ... بشحْط النَّوى والبعدِ من قُرْبهم عمْدا
فلم أرِ بُعد الدّارِ يشفى من الجْوى ... ولا القرْبُ أيضًا من ديارهِمُ أجدى
بلى إنّ فى النأى التقطُّع والأسى ... وحُبُّ سُليمى القلب من بينهمْ أوْدَى!

ولآخر:

نسيمُ الخُزامَى والرياحُ التى جرتْ ... بلَيْلٍ على نجدٍ تذكّرُنى نجدا
أتانى نسيمُ السِّدْر طيبًا من الحمى ... فذكّرنى نجدًا وقَطّعنى وجدا

---

(١) ك: «كما علمت».
(٢) ل: «لم ينحه».

ولآخر:

ألَا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً ... بصحراءَ منْ نجران ذات تَرًى مُندِى!
وهلْ أردنّ الدّهر حصن مُجاشعٍ ... وقد ضربتْهُ نفْحةٌ من صَبَا نجْد!
[الطويل]

ولآخر:

أقولُ لصاحبى والعيشُ تخْدِى ... بنا بين المنيفة والضِّمار[1]
تمتَّعْ من شميم عَرار نجْدٍ ... فما بعد العشيَّة من عَرارِ
ألا يا حبَّذا نفحاتُ نجدٍ ... وريَّا رَوْضه غبَّ القطار
شهورٌ ينقضين وما شعرْنا ... بأنصاف لهنَّ ولا سِرَار
فأمّا ليلُهنّ فخيرُ لبْلٍ ... وأنْضرُ ما يكونُ من النهار
[الوافر]

* * *

قال: وقال الفتح بن خاقان: ورد علىَّ أعرابىٌّ من البادية نجدىّ فصيحٌ، فبات ليلةً عندى على سطح مشرف على بستان، فسمع فيه صوت الدواليب، فقال: ما أشبّه هذا إلّا بحنين الإبل! وأنشد:

بكرت تحنّ وما بها وجدى ... وأحِنُّ من شوقٍ إلى نَجْدِ
فَدُمُوعُها تحْيَا الرياضُ بها ... ودموعُ عيْنِى أحرقت خَدِّى
[الكامل]

(١) للصمة بن عبد الله القشيرى، ديوان الحماسة ٣: ١٢٤٠.

محَاسِن الدّعاء للمُسَافر

بأيمن طالع وأسرّ طائر!

لا كبَا بك مركب، ولا أشتّ بك مذهب، ولا تعذّر عليك مطلب!

سهل الله لك السَّيْر، ويسّر لك القصد، وطوى البُعد بمسرّة الظَّفر، وكرامة المدّخر!

بأيمن طائر، وأسعد جَدّ!

على الطائر الميمون، والكوكب السّعد!

وفى رسالة للبحترىّ:

إلى حيث تتقاصر أيدى الحوادث عنك، وتتقاعس نوائب الأيّام دونك!

فصل:

وخُصصتَ بسهولة المطلب ونجاح المنقلب!

كان الله فى سفرك خفيرًا، وفى حضرك ظهيرًا.

آخر:

بسَعْىٍ نجيح، وأَوْب سريع وسريح!

آخر:

قصَّر الله محلّه، وهدى رحله، وسَرَّ بأوبته أهله. ولا زال آمنًا، مقيمًا وظاعنا!

آخر:

بأسعد جَدّ، وأنجح مطلب، وأسرّ منقلب، وأكرم بدأة، وأحمد عاقبة!

فصل:

فاشخصْ مصحوبًا بالسَّلامة والكلاءة، آيبًا بالنجح والغبطة، محوطًا فيما تطالعه بالعناية والشّفقة. فى ودائع الله وضمانه، وكنَفه وجواره، وستْره وأمانه، وحفظه وذماره[1].

وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم: إنّى أريد سفرًا، فقال: «فى حفظ الله وكنَفه، زوّدك الله التقوى، ووجّهك إلى الخير حيث كنت».

---

(١) المحاسن والأضداد: «وذمامه».

كتب أبو العيناء:

أستخلف الله فيك، واستخلفه منك.

لابن أبي السّرح:

فى كـنـف الله وفى سِـتْـرِهِ من ليس يخلو القلْبُ من ذكْرِهِ

[السريع]

وأنشد الآخر:

فارحل أبا بِشْرٍ بـأيمن طائـرٍ وعلى السعادة والسّلامة فانزل

[الكامل]

مَساوئ الدّعَاء للمُسَافر

بالبارِحِ الأشأم[1]، والسانح الأعضَب[2]، والصُّرَد[3]، الأنكد، للسّفر الأبعد.

لا استمرَّت مطيَّته، و [لا][4] استتبّت [به][4] أمْنِيّتُه. ولا تراخت منيّتهُ. بنحسٍ مستمرّ، وعيشٍ مُرّ، لا قرًى إن استضاف، ولا أمْنٌ إن خاف.

وقال إن عليًّا لمّا اتّصل به مسير معاوية قال: لا أرشدَ أم قائده، ولا أسعد رائده، ولا أصاب غيْثًا. ولا سار إلّا ريثًا، ولا وافق إلّا ليثًا!

أبعده الله وأسحقه، وأوقد نارًا على أثره!

لا حطّ الله رحلَه، ولا كشف محلّه، ولا بشّر به أهله!

لا زكّى له مطلب، ولا رحُب له فيه مذهب!

لا سقاه الله غمامًا، ولا يسّر له مرامًا!

لا فرّج الله همّه، ولا سرّ غمّه، ولا حلّ عقده، ولا أوْرَى زنده!

جعله الله سفر الفِراق، وعصا الشقاق!

وأنشد:

بأنكد طائر وبشرِّ فألٍ ... لأبعد غايةٍ وأخسِّ حالِ
بحدِّ السِّندِ حيثُ يكونُ منّي[5] ... كما بين الجنوبِ إلى الشمالِ
غريبًا تمتطي قدمَيْك دهرًا ... على خَوفٍ تحنُّ إلى العيال

[الوافر]

الباهليّ:

إذا استقلّتْ بك الركابُ ... فحيثُ لا درّت السحابُ![6]

---

(١) البارح: ما مرّ من الطير والوحش من يمينك إلى يسارك؛ والعرب تتطير به؛ لأنه لا يمكنك أن تمر حتى تنحرف (اللسان).

(٢) السانح: ما مرّ بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك والعرب تتيمن به؛ لأنه أمكن للعبد؛ وقد يتشاءمون به أيضا، قال زهير:

جَرَتْ سُنُحًا فقلتِ لها أجيزى ... نَوى مشمولة فمتى اللقاء!

والأعضب: المكسور القرن، وهو مما يتشاءم به.

(٣) الصرد: طائر فوق العصفور، وكان العرب يتشاءمون به أيضا لصوته.

(٤-٤) من المحاسن والأضداد.

(٥) ل والمحاسن والأضداد ١٢٦: «السد».

(٦) المحاسن والأضداد ١٢٧.

وحيثُ لا يُبتغَى فلاحٌ وحيثُ لا يرتجَى إيابُ
[مخلع البسيط]

ابن أبي السرح:

فسرْ بالنحُوس إلى بلدة تُعمَّرُ فيها ولا تُرْزقُ
ولا تمرعُ الأرضُ من نهرها[1] ولا يثمرُ الشجرُ المورِقُ
تفيضُ البحارُ بها مَرّةً ويُكْدِى السَّحابُ بها المُغْدَقُ
[المتقارب]

الباهلى:

أدنى خُطاكَ الهندُ والصينُ وكلُّ نحسٍ بكَ مقرونُ
بحيثُ لا يَأنَسُ مستأنسٌ وحيثُ لا يفرحُ محزُونٌ
تهوِى بِكَ الأرضُ إلى بلدةٍ ليسَ بها ماءٌ ولا طِينُ
[السريع]

(١) المحاسن والأضداد: «من زهرها».

محاسن الرّؤيا

حدّثنا أبو عبدالله أحمد بن أبي دؤاد، قال: كان المأمونُ يُبطّل الرؤيا، ويقول: ليست بشيء، ولو كانت على الحقيقة كنّا نراها ولا يسقط منها شيء، فلمّا رأينا أنّما يصحّ منها الحرف والحرفان من الكثير، علمنا أنها باطل، وأنّ أكثرها لا يصحّ.

وكان بعث بابنه العباس[1] إلى بلاد الروم، فأبطأ عليه خبرهُ، فصلّى ذات يوم الصبح، وخفق وانتبه، ودعا بدابّته وركب، وقال: أحدّثكم بأعجوبة، رأيت الساعة كأن شيخًا أبيض الرأس واللحية، عليه فَرْوة، وكساؤه في عنقه، ومعه عصًا وفي يده كتاب، فدنا منّي وقد ركبت، فقلت: من أنت؟ فقال: رسول العباس بالسّلامة - وناولني كتابه، فقال المعتصم: أرجو أن يحقّق الله رؤيا أمير المؤمنين ويسرّه بسلامته. قال: ثم نهض، فوالله ما هو إلّا أن خرج فسار قليلًا إلّا وبُصُر بشيخ قد أقبل نحوه في تلك الحال، فقال المأمون: هذا والله الذي رأيتُه في منامي، وهذه صفته. قال: فدنا منه الرجل فنحّاه خدمُه، وصاحوا به فقال: دعُوه! فجاء الشيخ، فقال له: مَنْ أنت؟ قال: رسول العباس وهذا كتابه، قال: فبُهتنا وطال منه تعجُّبنا، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتبطّل الرؤيا بعد هذه؟ قال: لا.

وحدثنا عليّ بن محمد، قال: حدّثني أبي، عن محمد بن عبد الله، قال: رأيتُ فيما يرى النائم في آخر سلطان بني أميّة، وكأنّي دخلتُ مسجدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. فرفعْت رأسي، ونظرت إلى الكتاب الذي فوق المحراب، فإذا فيه: ما أمر به أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، فإذا قائل يقول: يُمحَى هذا الكتاب، ويكتب مكانه اسمُ رجل من بني هاشم، يقال له محمد، فقلت: فأنا محمد، فابن مَنْ؟ قال: ابن علي، قلت: فأنا ابن عليّ، فابن مَنْ؟ قال: ابن عبد الله، قلت: فأنا ابن عبد الله، فابن مَنْ؟ قال: ابن عباس، فلو لم أكن بلغتُ العباس ما شكَكْت أني صاحب الأمر.

فتحدثت بهذه الرؤيا في ذلك الدّهر، ولا نعرف نحن المهديّ فتحدث الناس بها حتى وُلِّي المهدي، فدخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه. فإذا اسم الوليد، وإني لأرى اسم الوليد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليوم. فدعا بكرسيّ، فألقيَ له في صَحْنِ المسجد، فقال: ما أنا ببارحٍ حتى يُمحَى ويكتب اسمي مكانه، فأمر بأن يحضر العمّال والسلاليم، وما يحتاج إليه لذلك، فلم يبرح حتى غُيِّر، وكتب اسمه.

* * *

(١) ك: «العباس ابنه».

قال: ورأى رجل أبادُلف فيما يراه النائم، فقال: ما حالُك؟ فقال:

فلو أنّا مِتْنا تُركْنا ... لكان الموتُ راحَةَ كلِّ حيّ
ولكنّا إذ مِتْنا بُعِثْنا ... ونُسألُ بعدهُ عن كلِّ شَيّ

[الوافر]

* * *

قال: ورأى رجل الحجَّاجَ بن يوسف الثقفى فيما يَرَاهُ النَّائم، فقال له: ما حالُك؟ فقال: ما أنت وذاك! لا أمّ لك! فقال: سفيهٌ فى الدنيا سفيهٌ فى الآخرة.

* * *

وعن إسحاق بن إسماعيل بن علىّ، قال: حدثنى عمّى عيسى بن على، قال: دخلت على المنصور، فقال: يا أبا العباس، أتذكر رؤياى بالشَّراة؟ قلت: يا أميرَ المؤمنين، أىّ رؤيا؟ قال: مثلك ينساها! كان يجب أن تكتبها بقلمٍ من ذهبٍ فى رَقٍّ، وتوصى بها بنيك، وبنى بنيك! قلت: فأخبرْنى بها يا أمير المؤمنين قال: رأيتُ كأنّى بمكّة. إذ فتح باب الكعبة. فخرج رجل، فقال: عبد الله بن محمد! فقمت وقام أخى. فقال الرجل: ابن الحارثيّة! فدخل أخى. فأبطأ هُنيهة ثم خرج، وفى يده لواءٌ. فخطا خطًا خمسًا، ثم سقط اللواء من يده، ثم خرج الرجل بعينه، فقال: عبد الله! فقمت وقام عمى عبد الله بن علىّ وصعِد الدرجة، فزحمته ببعض أركانى، فسبقت، فإذا بأبى، وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لى الرجل: ابدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلّمت عليه، فدعا بلواء فعقده لى، ثم قال: هاك فيك وفى ولدك. حتى تقتلوا به الرجال. فخطوتُ خطًا، لو شئتُ أن أخبركم بها لأخبرتُكم.

وحدثنا محمد بن يونس، قال: أخبرنى منصور بن أبى مُزاحم، عن طيفور مولى أبى جعفر. قال: قال المنصور: رأيتُ فى السَّنة التى ولِى فيها هشام بن عبد الملك كأنّى راكب حمارًا أسود وعليه حمْل تبْن عظيم - وكان بالمَوْصل رجلٌ يعبر الرؤيا - فحججت تلك السنة، فرأيته بمنى وقصصت عليه الرؤيا، فقال: أخبرنى لمن هذه الرؤيا؟ فقلت: لرجل من أفناء الناس. قال: ما قلتَ الحقّ، أصدقنى وأصدقك، فقلت: لرجلٍ من بنى هاشم، قال: الآن جئت بالحقّ، إن صدقت الرؤيا صار صاحبها خليفة، قال: فانسللتُ كالهارب خوفًا أن يظهر من قولى وقوله شىء.

قال: فبينا الربيع ذات يوم قد دخل؛ فقال: يا أمير المؤمنين، رجل بالباب معبِّر يستأذن، قال: أدخله، فأدخله، فلما رآه تبسَّم، وقال: هذا صاحبى، فدنا منه وقبّل يده، فقال: أتذكر رؤياى؟ قال: نعم، وهى التى حملتْنى إليك. قال: كيف كانت تأوّلْتها، قال: قلت: راكب حمارًا أسود، والحمار جَدّ الرجل، وسواده سؤددُه، قلت: وكان على الحمار تبْن، فقلتُ: الحنطة والشعير تخرجان من التبن، ومنْ قعد عليه وصار مالكه، فقد ملك الأقوات فهذا رجل يملك الناس.

قال: لله أبوك! ما أحسن ما عبَّرت! وأسرع ما صحّت. وأمر له بصلةٍ وقال: أقم عندنا، وحوّل عيالك، فإنا نأمر لك بأرْزاق تسعك وإياهم، ففعل ذلك.

وبلغَنا عن مزاحم، مولى فاطمة بنت عبد الملك، عن فاطمة، قالت: كنتُ مع عمر بن عبد العزيز، وهو نائم، فانتبه، وقال: يا فاطمة، لقد رأيتُ رؤيا، ما رأيت أحسنَ منها! قلت: حدِّثنى بها يا أمير المؤمنين، قال: حتى أصبح، قال: فجاء المنادى، فناداه بالصلاة، فقام فصلّى بالناس الفجر، ثم رجع إلى مجلسه، فأتيته؛ فقلت: يا أمير المؤمنين. حدثنى بالرؤيا. فقال: رأيت كأنى فى أرض خَضْراء. لم أرَ أرضًا أحسنَ منها. ورأيت فى تلك الأرض قصورَ زبرجد. ورأيتُ جميع الخلائق حول ذلك القصر؛ فبينا أنا كذلك. إذ نادى منادٍ من القصر: أين محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب؟ فقام النبى صلى الله عليه وسلم، فدخل القصر، فقلت: سبحان الله! إنه فى مَلأ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم أسلّم عليه!.

فلم ألبث إلّا قليلًا. حتى خرج المنادى، فنادى: أين أبو بكر الصديق؟ فقام أبو بكر رحمه الله. فدخل.

فما لبثت إلّا قليلًا، حتى خرج المنادى، فنادى: أين عمر بن الخطاب؟ فقام عمر فدخل، فقلت سبحان الله! أنا فى جمع فيهم أبى. ولم أسلّم عليه.

فما لبثت إلّا قليلًا. حتى خرج المنادى ينادى: أين عثمان بن عفان؟ فقام عثمان رحمه الله، فدخل.

فما لبثتُ إلا قليلًا. حتى خرج المنادى. فنادى: أين على بن أبى طالب؟ فقام علىّ، فدخل.

فما لبثتُ إلّا قليلًا. حتى خرج المنادى، فنادى: أين عمر بن عبد العزيز؟ فقمت فدخلت. فرأيت النبّى صلى الله عليه وسلم قاعدًا. ورأيت أبا بكر عن يمينه، وعمر عن يساره. وعثمان وعليًّا بين يديه. فقلت: أين أقعد؟ لا أقعد إلّا إلى جَنْب أبى. قال: فقعدت عند عمر بن الخطاب؛ فرأيت فيما بين النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر شابًّا حسن الوجه. فقلت: يا أبت، مَنْ هذا؟ قال: هذا عيسى بن مريم.

قال: فما لبثت إلّا قليلًا. حتى سمعت مناديا ينادى: يا عمر بن عبد العزيز؛ أنِبْتْ الى ما أنت عليه.

قال: ثم قمت، فخرجت فلم ألبث إلّا قليلًا، حتى خرج علىٌّ عثمان، وهو يقول: الحمد لله الذى نصَرنى. ثم لم ألبث إلّا قليلًا؛ حتى خرج علىٌّ بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال: الحمد لله الذى غفر لى!.

مَسَاوئ الرّؤيا

روى عن عمر بن حبيب القاضى، أنّ رجلًا كان بالبصرة. وكانت له امرأة؛ وله منها ابنان؛ فمات وترك لهم شاة، فرأت المرأة فى النوم؛ كأنّ أحد ابنيها يقول: يا أمة[1]. ما ترين هذا الجدْى، قد أفنى علينا لبن هذه الشاة! وليس بدّ من أن أقوم فأذبحه، فقالت: لا تفعل يا بُنىّ. فقال: لابُدَّ من أن أذبحه. فقام فذبحه، وسَمَطه وشَواه، وأخرجه من التَّنُّور؛ فقعد هو وأخوه يأكلان، فكلّمه أخوه بشىء، فأخذ السِّكين فشقَّ بطنه.

فانتبهتْ فزعة؛ وإذا ابنها يقول: يا أُمّهْ؛ أما ترين هذا الجدى. قد أفنى علينا لبن هذه الشاة. أقوم فأذبحه! فقالت: لا تفعل يا بُنىَّ. فجعلت تتعجّب من تصديق الرؤيا فأخذت بيد أخيه. فدخلت بيتًا، وأغلقت الباب من داخله؛ فبينا هى مفكرة مهتمّة، إذ غَفَلت، فرأت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم؛ فقال: ما شأنك؟ فخبَّرته الخبر. فنادى: يا رؤيا. فإذا الحائط قد انصدع. وخرجت امرأة جميلة بارعة الجمال، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم: ما أردت إلى هذه المسكينة! قالت: لا والذى بعثك بالحق نبيًّا ما أتيتها فى منامها. فنادى: يا أضغاثَ أحلام، فخرجت امرأة دونها. فقال: ما أردتِ إلى هذه المسكينة؟ قالت: رأيتهم بخير؛ فحسدتهم، فأردت أن أغمّهم.

فقال صلى الله عليه وسلم: «ليس عليك بأس» فانتبهت وأكلت مع ابنيها. ولم يزالوا بخير.

---

(١) ك يأماه!

محَاسن الإزكان

قال: نظر إياس بن معاوية إلى نسوة قد فزِعْن من بعير، فأشار إليهنَّ. فقال: هذهِ بكْر، وهذه حامل، وهذه مُرضَع. فقام إليهنَّ رجل، فسألهنّ فكنّ كما قال. فقيل له: كيف علمته؟ قال: رأيتهنَّ لمّا فزعن، وضعت كلّ واحدة منهنّ يَدها على أهمّ المواضع إليها، فوضعت الحامل يَدها على بطنها، ووضعت المرضع يدها على ثَدْيها، ووضعت البِكر يَدها على قُبُلِها.

* * *

قال: ونظر إياس يومًا إلى رجل متأبِّط شيئًا، فقال: معه سُكَّر. وقد ولُد له غلام، فاتَّبعه الرجل فسأله؛ فإذا هو كما قال: فقيل له في ذلك، فقال: رأيت الذُّباب قد أطافت به، فقلت: معه حلاوة وهو سُكَّر. ورأيته نشيطًا. فقلت: وُلد له غلام.

مَسَاوئ الإزكان

قال: واستقبل إياس رجلاً، فقال: خُذوه؛ فإنّه سرق، وسيأتى مَنْ يطلبه. فأخذوه فلم يتجاوز ساعة حتى جاء قومٌ يطلبونه، فأخذوه. فقيل له فى ذلك، فقال: رأيته يُرعَد ويعدو مُدْلها، متغير اللون يُكثر الالتفات. فزكنتُ فيه هذا؛ وإنه لصّ.

* * *

قال: ورأى رجلاً على عاتقه جرَّة عسل، فقال: فيها سُمٌّ أو حيَّة، فنظروا فإذا حيَّة؛ فسئل عن ذلك. فقال: رأيت الذباب تحوم حوله ولا تسقط عليه. فعلم أنه حيَّة أو سمّ.